وحاصروني ثم القوا القبض علي ووضعوني في قفص بعد ان نتفوا ريشي · وزجوا بي في السجن بين الزعران » · في السجن لا يصدقه الزعران عندما يخبرهم « كنت اتأمل سور مدينتي فلم يعجبهم الامر » · ها هو حصار اخر يقتنص حلما شفافا يعجزون عن فهمه ، يطالبونه « هيا قص علينا حكاية مسلية » · يتحدث اليهم عن سلطان جائر ، فيعلن الزعران مللهم من السياسة · يحكي لهم عن الجوع فيسأمون من حكاية يعرفونها تمام المعرفة · لكنهم يهللون اذ يخبرهم حكاية المرأة التي خانت زوجها التاجر وهربت مع عشيقها سائس الخيول · وهو هنا منخلال حكاية القهر الجنسي ـ الطبقي يبدي تعاملا حنونا مع اولئك الذين يعكسون وعيا رمزيا تجاه الصراع الاجتماعي الذي لا يدفع ثمنه غيرهم ·

في المقطع الذي يروي فيه قصة الولد وجده الشيخ الذي اعترض الناس على ركوب احدهما الحمار ، او تركه · يذكرنا بالخامس من حزيران ومدلولاته المشابهة التي اعطت احكاما ظالمة تجاه الجيل الذي تحمل نتائج الهزيمة · ثم يعود بنا الى الخيط الذي ينظم الوحدة المتشابكة · يعود الىجو السجن ـ الحصار فيطوره بالفجيعة التي تتمثل في النفي من الوطن ، حين يفاجئه الحراس وهو يستعيد سيرة جده الذي مات في الحرب · « قالوا : كذاب ، انت تعيد النظر في سير التاريخ ، وهذا لا يجوز · قالوا : هيا انهض فنهضت ، نتفوا ريشي ثم عصبوا عيني وحشروني داخل قفص · « يسيرون به على حدود الوطن المنتهك · « قالوا : من هنا تخرج· قلت هذا وطني وارفض اوامركم · قالوا : امامك بلاد اسمها لبنان · وان لم تذهب قتلناك » · عقب الابعاد يتلفت البطل صوب الاسطورة قاصدا البصارة التي تنصحه باطفاء حزنه في اجساد النساء ، فهل يصلح حل التجاوز كي يداوي حالة النفي ـ الحصار ؟ · انه يستعير من «نشيد الانشاد » التوراتي احدى صوره المعبرة· «قلت : احلفكن بوطني المنهوب يا بنات المدينة ان تدنين اجسادكن من جسدي، فأنا وقد ضيعت وطني يسربلني الحزن · » ان عقدة الذنب كامنة في صميم معضلة الاستلاب التي يعانيها ، وهو هنا يعاود رواية الحدث تاركا للصورة الشعرية ان تتأصل عبر ترددها ، وفي المرتين يأتي الجواب واحدا ·· « من ترك وطنه نهبا للطامعين كتب على نفسه الحرمان من متعة الاجساد » · انه يمضي في ادانة العجز الذي وقع فريسته ، فهو مطرود بحد السيف ، ولكنه ـ اساسا ـ يتحمل وزر الجريمة· وفي شوارع المدينة يبزغ الجفاف وعدا مزيفا ، فان من تبتسم له بحنان ليست سوى تمثال من الشمع معروض في احدى الواجهات · وان ذهابه الى البحر لا يمنح السلوى ، فالبحر فلاح متعب يتحدث بنبرة رتيبة فاترة · وان شواهد القبور في مقبرة الشهداء تحكي كل شيء عن الوطن ولكنها اعجز من ان تمد جسرا بين ماضيه وحاضره · ان استعادته لماضي القمع والابادة بين القبور لا تشعل شحنة التفجر الكامنة ، اذ انها لم تشكل نقيضا موضوعيا لحالة القهر ، وها هو يستأنف مسيرته منكفئا على نفسه ، عائدا الى غرفته مروعا مما شعر به من تحجر واحتباس · وفيما كان الفاشيست يحرقون جسد بيروت ، تتسرب اليه عبر الليل ترنيمة حزينة يميز فيها صوت امه ، صوت الخلق البشري الذي يهب ميلادا جديدا يزيح مسامير التحجر ، ويخلق نقيضا موضوعيا لاستلابه وضياع انتمائه · يخرج الى الطرقات فيواجه فتى اسمه « ابو ذر » يحمل سلاحه في احد المنعطفات · ها هو الجدلي يأتي